وأود الإشارة هنا إلى أن السبعينات قد شهدت نمواً ملموساً في حجم المتخرّجين والملتحقين بالجامعات والمعاهد العليا، سواء منها الإسرائيلية أو جامعات البلدان الإشتراكية، عن طريق المُنح الدراسيّة لراكح. وهذه الظاهرة أفضَت مضاجع «يسرائيل كنيغ» صاحب المذكّرة المعروفة، التي أشار فيها إلى دور المثقفين ككوادر قيادية من نوع جديد، في الوسط العربي، أخذت تُسقط القيادات العشائرية والتقليدية الجاهلة التي اعتمدتها الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة.

٧ ــ دعوة راكح إلى مواقف قومية أكثر حسماً

ورغم تقلّص تأثير العشائرية والطائفية، في الوسط الفلسطيني داخل إسرائيل، «بفضل» السياسة العنصرية الإسرائيلية التي تطال، بنهبها وشوفينيتها، كل أبناء شعبنا دون تمييز؛ ورغم تعاظم الوعي الوطني، رغم كل ذلك، فإنه لا يمكننا تجاهل أثر الأحداث، المؤسفة والمفتعلة، التي شهدتها قريتا كفر ياسيف وجولس، أثناء انتخابات الكنيست العاشر، وهو ما أشارت إليه صحيفة الإتحاد، في عددها الصادر في الثالث من تموز (يوليو) ١٩٨١؛ الأمر الذي يُغفِله د. جفال مثلما يُغفِل الإشارة إلى النزعة الفاشية والعدوانية، في أوساط اليهود، والتي أذكتها أربعة أعوام من حكم الليكود، وتأثير ذلك على بروز نزعات قومية متطرّفة في الوسط العربي ــ وإن تكن محدودة ــ بسبب تعاظم دور الطبقة العاملة وحزبها اللذان يصعب أن تغزوها التوجّهات الشوفينية. والنزعات القومية هذه، عبّرت عنها القوى التي دعت إلى مقاطعة الإنتخابات. يضاف إلى ذلك، ما أكّده الدكتور، في تحليله لمنحى الصوت العربي في الكنيست العاشر، أن العرب صوّتوا للمعراخ في هذه الإنتخابات، واضعين ثقلهم في اتجاه إسقاط حكومة الليكود وبيغن، «مختارين من الشرّين أهونهما».

فهذه المعطيات لا تلتقي، في الواقع، مع الدعوة التي يوجّهها د. جفال لراكح في ختام دراسته: «لتكن نتائج التصويت في انتخابات الكنيست العاشر مناسبة من أجل حسم هذه المسألة». وهو يعني كما يذكر: «مواقف راكح إزاء المسألة القومية الفلسطينية بكافة عناصرها» (ص ٦٥)، لا سيما وأن د. جفال يوضح، في دراسته، أنه برغم كل الضجيج الذي أطلقه ممثّلو المعراخ، عن انقلاب في الصوت العربي، فإن التغيير الحقيقي، في التوجّه نحو «حداش»، يبقى طفيفاً، وهذا يحدث في الوقت الذي مُسحت فيه، نهائياً، أحزاب صهيونية صغيرة معتدلة وتجمّعات عربية تابعة للمعراخ من لوحة الكنيست.

ويبقى أخيراً أن نشير إلى أن انحجاب الصوت اليهودي عن كتلة «حداش»، بصورة تكاد تكون مطلقة، وذلك بتأثير الجو الشوفيني الذي أشاعه تجمّع الليكود، وبسبب التصويت للمعراخ لإسقاط الليكود، إن ذلك كان عاملاً مؤثراً في خسارة «حداش» (الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة) لمقعدها الخامس الذي كانت تملكه في الكنيست السابق.

غطاس أبو عيطة